

سلسلة: إتحاف الحاضر والبادي بتفريغ أشرطة العلامة الشيخ محمد بن هادي (٣١)

تفريغ كلمة بعنوان:

وصية للرجال والنساء

في العشر الأواخر من رمضان

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن هادي المدخلي حفظه الله

إعداد

أبي قصي المدني

- عفا الله عنه وعن والديه ومشايخه والمسلمين أجمعين -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصية للرجال والنساء في العشر الأواخر من رمضان^(١)

لفضيلة الشيخ د. محمد بن هادي المدخلي - حفظه الله -

قال الشيخ - حفظه الله -: «... (٢) وعلى نبينا محمد، أما بعد:

فإجابةً على طلب أختينا الكريم:

أوصي نفسي- وأحبتني جميعاً بالاجتهاد في هذه العشر-، فإنَّ العبد يغتبط -والله- أنْ بلغه الله

- سبحانه وتعالى- هذه العشر، والموفق الذي يوفق لاغتنامها.

واغتنامها يكون بما صح مما ورد عن النبي ﷺ، أنه كان يخلط العشر الأولى والعشر الأوسط

بصلاة ونوم، فإذا دخلت العشر الأواخر، شدَّ مئزره وأحيا ليله، وأيقظ أهله.

وذلك لفضلها وشرفها على بقية العشرين، الوسطى والأولى من هذا الشهر، لما جعل الله

- سبحانه وتعالى- فيها من ليلة القدر، التي هي خيرٌ من ألف شهر.

وقد كان عليه الصلاة والسلام يعمرها، ويتخلَّى فيها عن الاختلاط بالناس، ومعافسة

الأهل والأولاد، ويخلو بربه - سبحانه وتعالى- صلوات الله وسلامه عليه، ليصيب هذه الليلة.

وزيادة في الحرص عليها كان يعتكفها، يعتكف هذه العشر- كلَّ عام حتى توفاه الله

- صلوات الله وسلامه عليه-، كما في حديث عائشة، ثم اعتكف أزواجه من بعده ﷺ.

ولم يترك الاعتكاف إلا سنةً واحدة، لما كثرت الأخبية في مسجده - عليه الصلاة والسلام-

أصبح وقد ضربت فقال: خباء من هذه؟ قيل لفلانة، ثم هذه؟ لفلانة، أزواجه، فقال: (أَبْرَ)

(١) ألقاها فضيلته في منزله بجازان ليلة الخميس ٢٢ رمضان ١٤٣٩ هـ.

(٢) هكذا التسجيل.

أَرَدْتَنَّ؟) فأمر بها فقَوَّصَتْ، ثم خرج من اعتكافه -صلوات الله وسلامه عليه-، فاعتكف في شوال، قضى الاعتكاف في شوال، -صلوات الله وسلامه عليه- (١).

والحاصل: أن من وفقه الله -جل وعلا- وامتعه بالصحة والعافية إلى هذه العشر فالواجب

عليه أن يغتنمها؛ لأنه لا يدري أيديركها من قابل أم لا يدركها، وهي عشر مباركة، وكلها ليالي معدودات، وإذا كان رمضان كله قال الله فيه: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]

قَلَّلَهُ لِيَكُونَ أَنْشَطَ عَلَى النُّفُوسِ حِينَما تَسْمَعُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ﴾ [البقرة: ١٨٤]، ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فإذا قَلَّلَ الشَّيْءَ اشْرَأَبَتْ النُّفُوسُ إِلَيْهِ، وَخَفَّ عَلَيْهَا، وَتَأَقَّتْ إِلَيْهِ، وَسَهَّلَ عَلَيْهَا تَقَبُّلَهُ، فكيف بهذه العشر- التي فيها هذه الليلة، الليلة المباركة التي العمل فيها يعدل عمل أربعة وثمانين سنة إذا حسبتها.

فالواجب -معشر الأحبة-:

أن نحرص عليها ونحن طلبة العلم بالذات، يجب أن نكون أحرص الناس عليها، وعلى إحيائها بالذِّكر، والقراءة، والاستغفار، والصلاة، فإنَّ الانسان يجب أن يتميز فيها، مادام يعلم بفضلها ويعلم النصوص فيها.

فطالب العلم ليس كغيره، طالب العلم ليس كغيره، فما ينبغي له أن يضيع أوقات هذه

العشر، بالذات الليل، أن كان عنده من أعمال أو ارتباطات، فلتكن في النهار، في العصر أول النهار، في بكرة النهار، في أصيل النهار، يقضيها والله الحمد، لكن لا يُغَلَبَ على الليل، لأنَّ الليل وقت فاضلٌ شريف.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (٢٠٣٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم (١١٧٣).

فالذي أوصي به نفسي وأحيتي: أن يعمرُوا هذه العشرة، مادام قد متّعنا الله وإياكم بالصحة والعافية، وبلّغنا وإياكم هذه الليالي، أن نغتنمها في طاعة الله -تبارك وتعالى- التي تقربنا إليه، عسى الله -جل وعلا- أن يجعلنا وإياكم جميعًا ممن وفق لقيامها.

فهي ليلة مباركة، والعبد يجب عليه أن يأطر نفسه وأن يجبسها على الخير، وهي كلها تسع ليالٍ، والعاشرة مشكوك فيها، إما يكون تسعة وعشرين، وإما أن يكون ثلاثين، وهذا بالنسبة إلى ما بقي من الوقت، إذا نظرت الآن النهار أكثر من ثلثي الأربعة والعشرين ساعة.

فالواجب على العبد ألا يُفَرِّط، وليعلم أن كل الأعمال ملحوقه وعليه أن يؤخرها، وعليه أن يسارع إلى ما ينفعه في أخراه عند ربه -تبارك وتعالى-.

فلا يكن مُفَرِّطًا، ولا يكن متكاسلاً، ولا يكن متهاونًا، وعليه أن يعلم أن هذه الساعات القلائل التي يحرص عليها تنفعه عند الله -تبارك وتعالى- نفعًا عظيمًا.

والواجب على من علم أن يكون أول المبادرين؛ لأنَّ الحجة عليه قد قامت، والمحجَّة له قد استبانت، والأدلة في صدره معروفة، وينبغي أن يُطبَّق الأقوال بالأعمال، فإذا دعا غيره يكون هو أول المسارعين، كما كان رسول الله ﷺ وهو الذي قد غُفر له ما تقدّم من ذنب وما تأخر.

قام حتى تورّمت قدماه وتفطّرت قدماه، صلوات الله وسلامه عليه، فقليل له ما قيل كما تعلمون، قال: **(أفلا أكون عبدًا شكورًا!)**.

لماذا؟ لأنه يعلم أنّ الشاكرين قليل كما قال الله تعالى: ﴿أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ

عِبَادِي الشُّكُورُ ﴿١٣﴾ [سبأ: ١٣]، الشاكرين قليل، الشاكرين شكرًا حقيقياً قليل، الشكر ليس فقط باللسان، الشكر باللسان وبالجنان وبالجوارح والأركان.

أَفَادَتُكُمْ النَّعْمَاءُ مَنِّي ثَلَاثَةً يَدِي، وَلِسَانِي، وَالضَّمِيرَ الْمُحَجَّبَا

فشكر أهل العلم وأهل الخير وأهل الدين وأهل الصلاح وأهل الزهادة وأهل الورع،
شغلهم وشكرهم يختلف تمامًا عن غيرهم، لأنهم أعرف بالله -تبارك وتعالى-، **ومن كان بالله
أعرف يجب عليه أن يكون منه أخوف.**

ومن أعظم ما ينبغي لي أنا أن أذكر به نفسي وإخواني -والحمد لله الذي عافاني منه-:

هو البعد عن هذه الأدوات التي شغلت الناس، حتى في الصلوات ما بين التسليمة
والتسليمة ينظر في جهازه، ماذا جاءه من الرسائل، ماذا جاءه من المحادثات، ماذا جاءه من
التغريدات.

هذا والله إنه ليؤسف له، والله إنك لترى الرجل وتوقره وتجلّه، فتراه في أثناء الصلاة ينظر
في مثل هذا، فينقص قدره في عينك.

فلا ينبغي للإنسان أن يشغل نفسه في وقت طاعته في وقت اعتكافه في وقت صلاته، في
وقت قراءته للقرآن بمثل هذه الوسائل التي تشوش عليه، فتذهب بلبّه وتذهب بخشوعه،
وتذهب بحضور قلبه على ربه -تبارك وتعالى-.

ونسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا وإياكم جميعًا.

وليُعلم أيضًا: أن النساء أيضًا مطالبات بمثل ما يُطالب به الرجال، فنحن نذكر بهذا للنثني
به أيضًا إلى نساءنا، إلى أمهاتنا وبناتنا، وأزواجنا وأخواتنا نُذكر به، فإنَّ النبي ﷺ يُحيي ليله
ويوقظ أهله، فبدل ما تجرك هي إلى السوق وإلى ما لا منفعة فيه من الكماليات والاشتغال
بالبوت في الليل، من تصرّجات للأعياد ونحو ذلك، والاشتغال بالكماليات التي لا فائدة فيها،
ينبغي لك أنت أن تكون حازمًا، وأن تكون فيمًا عليهن بما يصلحهن مما يجدن فائدته وثمرته.

لا أنهن هُنَّ يعصفن بك فيفوتون عليك ساعات الخير، ومواسم الخير وأوقات الخير،
وأوقات الطاعات، فإنَّ النبي ﷺ كان يحيي ليله ويوقظ أهله.

فإذا بغت هي تأخذك للسوق، أو كاليات في البيت ما لا فائدة فيه، بين لها أنها هي مطالبة أن تقوم بهذا، عسى الله أن ينفعها، ساعة الاجابة في الليلة المباركة.

هذه ليست خاصة بالرجال، الجميع مطالبون فيها، ولكن الخطاب دائما في الشرع للرجال والنساء داخلات فيه، حتى وجد نساء الصحابة في نفوسهن شيئا من هذا، قالت إحداهن: ما

للرجال يذكرون والنساء لا يذكرون، فأنزل الله - سبحانه وتعالى - تطيباً لهن: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالْقَنَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ الآية قال في آخرها: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا

عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

فالخطاب دائما للرجال ليس معناه أن النساء لسن داخلات، لا، داخلات.

ولكن الموفق من يتنبه لهذا، يظن بعضنا أن النساء خلاص ما عليهن جماعة، خلاص ما

عليها إيش، أن تنتهز الفرصة، فتناجي ربها وتتقرب إليه في هذه الليالي، هذا غلط.

الآن قلما نجد من يذكر بالاعتناء بالنساء في هذا الباب ويذكرهن في أنفسهن أن يغتنمن

هذه الليالي الفاضلة، كما كان النبي ﷺ يوقظ أهله، وأهله ما عنده إلا زوجته ﷺ في البيت،

وأحيانا جاء في بعض الروايات يمر على فاطمة وزوجها علي - رضي الله تبارك وتعالى عنهم

جميعاً -.

فالواجب - معشر الأحبة -:

أن نذكر الأمهات والأخوات، والزوجات والبنات، نذكرهن بهذا، فإذا ذكرناهن وأحسنا

إليهن، استعنا بهن بعد الله - تبارك وتعالى - على أنفسنا، وقللنا من الطلبات التي لا فائدة فيها،

التي تهلك الأوقات، وإذا كانت الأوقات هذه المباركات تذهب في تلبية طلباتهم هذه مصيبة،

فنسأل الله - سبحانه وتعالى - التوفيق للجميع، والله أعلم.

وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان.

أما ما يتعلق بالسؤال، فالركعتين الخفيفتين بحسب حال الانسان، أما ما كان عند سلفنا الصالح، كان الصحابة - رضي الله عنهم - يرون أن الرجل إذا صلى في الركعتين بالبقرة يروونه قد خفف، إذا صلى في الركعتين بالبقرة، يروونه قد خفف، بعضهم يروى إذا صلى في الركعة بالمئة آية، يروونه قد خفف، فقد كانوا يقومون قيامًا طويلًا، حتى إنهم ليتكثرون على العصي - من طول القيام، لكن اليوم على حسب حال الناس، إذا كان الانسان لنفسه فليصلي ما شاء، أما إذا كان لغيره فلا، ينبغي أن يراعي كما قال النبي ﷺ: **(أيكم أمَّ الناس فليخفف، فإنه وراءه المريض والضعيف وذا الحاجة)**، فينبغي له أن يراعي حاله، ولكن إذا قام لنفسه لا بأس، يصلي ما شاء، والتخفيف كلُّ بحسب حاله، قد يقرأ فيه حزب، قد يقرأ فيه نصف حزب، قد يقرأ فيه ربع حزب، وقد يقرأ فيه السورة، كلُّ بحسب حاله.

لكن المقصود من هذا أن التخفيف بين يدي القيام، لأنه في أول أمره يكون عنده شيء من الفتور، فينشط بهذا، ثم بعد ذلك يستمرى القيام فيقوم، أما إذا بدأ بالطويل كسل وتعب مباشرة، نعم، نسأل الله التوفيق».

سائل: شيخ إذا صلوا العشاء وأنت دخلت المسجد، تصلي ركعة، وتصلي مع الامام وإلا

تصلي مع جماعة ثانية؟

الشيخ: «إذا كان هناك جماعة تصلي العشاء الفريضة، فصلي معها وبعد ذلك ادخلوا معه في التطوع، أما إذا لم يوجد فصلي معهم ركعتين ثم أتم عليها، ولا مانع أن تختلف النية، يكون الإمام يصلي تطوعًا نافلة، وأنت تصلي فريضة، كما كان معاذ - رضي الله عنه - يصلي مع النبي ﷺ، ثم يأتي يصلي بقومه فكانت له نافلة ولهم فريضة، لا بأس».

سائل آخر: جزاك الله خيرًا، طيب يا شيخ إذا جيت والإمام خلّص من صلاة العشاء، أيهما الأولى أن أقيم جماعة، أم انتظر حتى يبدووا في صلاة التراويح؟

الشيخ: «إذا كان هناك جماعة طيب، صلي معهم، ثم تدركون معه التراويح من أولها، طيب».

سائل آخر: شيخنا هل من حرج من تزامن الجماعتين؛ التراويح والجماعة الأخرى؟ لأنّ الإمام في التراويح قد ينتظر فيطول الانتظار ويشق على بعض الحاضرين فيشرع في التراويح فتأتي جماعة متأخرة في نفس الوقت.

الشيخ: «لا ما يصلون لحالمهم، يصلون معه ويكملون، نعم».

سائل: هناك أسئلة كثيرة شيخنا ونحن ما نريد نأخذ من وقتك.

الشيخ: «أبدًا، الله يحييكم، حياكم الله، ...، أسعدتم، أسعدتم، وكتب الله لكم الأجر، يا مرحبا بكم، حياكم الله، حياكم الله، الله يوفقنا وإياكم جميعًا، ولا يجرمكم أجر الزيارة، ويكتب ذلك في موازين حسناتكم، ويجعلها في خرفة الجنة حتى ترجعون، يا مرحبا بكم، حياكم الله، حياكم الله، أهلاً وسهلاً، حياكم الله، حياكم الله» انتهى.

إِعْدَادُ

أَبِي قُصَيِّ الْمَدَنِيِّ

— عَفَا اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ وَالِدَيْهِ وَمَشَائِخِهِ وَالْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ —

فِي الثَّالِثِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ عَامٍ وَاحِدٍ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنَ الْهِجْرَةِ